



تناقضات النخب السياسية والفكرية في الموقف من إسرائيل

أعاد حزب الخضر في إنجلترا وويلز النقاش إلى مساره الصحيح، إذ إنه يدرك أن المشكلة الحقيقية لا تتعلق بغياب الحلول المبتكرة لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، بل تكمن المشكلة في الصهيونية ذاتها.

ولإدراك أهمية القرار «A105» – الذي أعتمدته حزب الخضر في إنجلترا وويلز في الرابع من شهر أكتوبر 2026 – ينبغي النظر بكل تعمق في مبادئه الأساسية.

لقد أصبح الحزب الآن مناهضاً للصهيونية بشكل رسمي، إذ إنه يتبنى حق الفلسطينيين في العودة، ويدعم إقامة دولة ديمقراطية واحدة على كامل ترابد فلسطين التاريخية، ويؤكد مجدداً التزامه بحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات، كما يميز بوضوح بين مناهضة الصهيونية ومعاداة السامية، ويدعو إلى فرض حظر شامل على توريد الأسلحة إلى إسرائيل.

ورغم أن هذا القرار قد يبدو ثوريا في سياق السياسة البريطانية، إلا أنه ليس كذلك على الإطلاق إذا ما تم تنزيله في إطار تاريخ سلب الفلسطينيين حقوقهم وأراضيهم، وهو التاريخ المرير الذي بدأ قبل وقت طويل من نكبة فلسطين عام 1948. وفي الواقع، لم يكن حزب الخضر في إنجلترا وويلز أول من ساوى بين الصهيونية والعنصرية. فهذا الطرح يدين بالكثير لحركات التحرر المناهضة للاستعمار في أفريقيا وآسيا، ونضالها ضد نظام الفصل العنصري (الأبارتهايد) في جنوب إفريقيا.

في سنة 1975، عقدت منظمة الوحدة الإفريقية – منظمة الاتحاد الإفريقي الآن – اجتماعاً في كيبالا بأوغندا، رسمت فيه أوجه تشابه صريحة بين الأنظمة العنصرية التي كانت تحكم جنوب إفريقيا وروديسيا، بالإضافة وفلسطين المحتلة التي لا تزال تحت هذا النظام العنصري المقيت، مشيرة إلى جذورها الإمبريالية المشتركة.

وقد ساعد هذا الموقف في تهديد الطريق لصدور قرار الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة رقم 3379، في 10 نوفمبر 1975، الذي نص على أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وتحت ضغوط دبلوماسية مكثفة من الولايات المتحدة الأمريكية



بقلم:

د. رمزي بارود

وإسرائيل، تراجعت منظمة الأمم المتحدة في نهاية المطاف عن هذا التوصيف في 16 ديسمبر 1991. ومع ذلك، لم تتم مطالبة إسرائيل حتى اليوم بتفكيك الهياكل القائمة على التمييز العنصري التي كانت سببا في صدور تلك الإدانة الأصلية. وفي الحقيقة فإن إلغاء ذلك القرار قد يغير موقف منظمة الأمم المتحدة، لكنه لم يغير الواقع الذي يواجهه الفلسطينيون.

يتعين على أولئك الذين رضخوا للضغوط الأمريكية في عام 1991 أن يواجهوا سؤالاً مقلقا يتعلق بالمسؤولية الأخلاقية: هل ساهم قرارهم في إضفاء الشرعية على الهياكل السياسية ذاتها التي كرّست تجريد الفلسطينيين من ممتلكاتهم، والاحتلال، والاستعمار الاستيطاني؟ لقد أعاد حزب الخضر في إنجلترا وويلز فتح ذلك النقاش التاريخي، لكنه قام أيضا بخطوة ذات أبعاد أكثر أهمية، فمن خلال تبني هذا المقترح بأغلبية 1022 صوتا مقابل 813، أثبت أعضاء الحزب أن الأفكار التي كانت تُنبد سابقا باعتبارها «متطرفة»، باتت تتحدى بشكل متزايد حدود التيار السياسي السائد في بريطانيا.

ومع ذلك، ينطوي هذا الإنجاز على تصدعات جوهرية تكشف عن طبيعة الصراع القسام، إذ عارض أربعة من نواب الحزب الخمسة في البرلمان هذا القرار.

ولعل الأمر الأكثر دلالة في خضم هذا الجدل هو أن ساندني روفن، رئيس مجلس أمناء منظمة العفو الدولية في المملكة المتحدة، استقال تماما من عضوية حزب الخضر في إنجلترا وويلز.

وفي معرض تبريره لقراره، اتهم روفن الحزب بالسعي إلى استمالة أصوات أقصى اليسار، بينما أخفق في الوقت ذاته في مواجهة التحيز القائم داخل صفوفه.

تكشف استقالة ساندني روفن عن تناقض جدير بالدراسة، لا سيما بالنظر إلى ارتباطه بمنظمة سبق لها أن وثقت نظام الفصل العنصري الإسرائيلي ضد الفلسطينيين.

ففي شهر فبراير 2022، نشرت منظمة العفو الدولية تقريرا تاريخيا خلص إلى أن إسرائيل تُمارس نظاماً مؤسسياً للقمع والهيمنة على الفلسطينيين يرقى إلى مستوى الفصل العنصري.

كان هذا الاعتراف متأخرا، ولكنه بالغ الأهمية. مع ذلك، لا ينشأ الفصل العنصري من فراغ أيديولوجي، بل يستند إلى افتراضات سياسية حول الانتماء والسيادة والتحكم الديموغرافي والتوزيع غير المتكافئ للحقوق.

لذا، فإن السؤال اليوم لا يتعلق بمجرد وجود نظام التمييز والفصل العنصري في إسرائيل، بقدر ما يتعلق بالمبادئ السياسية التي مكّنت من تأسيسه واستمراره.

نشأت الحركة الصهيونية في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر كمشروع قومي يسعى إلى إيجاد وطن لليهود، وتطورت لاحقا لتسعى إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين. وقد أدى تنفيذ هذا المشروع في نهاية المطاف إلى التهجير الجماعي للفلسطينيين عام 1948.

ولا يمكن بأي حال تجاهل الرابط بين ذلك المشروع التأسيسي وبين الهياكل التمييزية التي وثقتها منظمة العفو الدولية نفسها. فكيف يستنى لأمثال ساندني روفن إدانة نظام الفصل العنصري دون مواجهة الأيديولوجية التي تكمن وراءه؟ وإذا لم تكن تلك الأيديولوجية هي الصهيونية، فماذا تكون إذن؟

غير أن القضية الأوسع لا تكمن في نقص المعرفة التاريخية لدى النخب السياسية والفكرية في بريطانيا. بل على العكس، لطالما نصبت هذه النخب نفسها حارسا للخطاب المسموح به حول إسرائيل وفلسطين؛ وهو خطاب يفسح المجال لانتقادات عارضة –قد تصل أحيانا إلى حد الإدانة الشديدة– لكنه نادراً ما يسمح بطرح تحدٍّ جوهري للهياكل

السياسية ذاتها. واليوم، جاءت القواعد الشعبية لحزب الخضر في إنجلترا وويلز لتتحدى هذا المفهوم السائد، إذ تجاوزت الخط الفاصل بين ما يمكن انتقاده وبين ما يجب أن يظل بمنأى عن أي مساس سياسي. وفي ظل الإعادة الجماعية التي ترتكها إسرائيل في غزة، أعلن حزب الخضر في إنجلترا وويلز فعليا أن الوقت قد ولى للنقد الموزون والمحسوب والمتوازن.

وبذلك، فتح الحزب مساحة سياسية قد يشغلها آخرون لاحقا، بمن فيهم أطراف داخل حزب العمال، الذي لطالما شهد انقساماً بين قاعدته الشعبية التقدمية وقيادته التي تميل أكثر فأكثر نحو الوسط، والتي باتت سياساتها – لا سيما فيما يتعلق بفلسطين– لا تكاد تختلف عن سياسات اليمين السياسي.

وقد يشجع هذا التصويت أيضاً على إثارة نقاشات مماثلة في مختلف أنحاء أوروبا، مما يضع الأحزاب السياسية أمام ضرورة مواجهة العلاقة بين الصهيونية، ومعاداة السامية، وحقوق الفلسطينيين، ومستقبل فلسطين التاريخية.

ولعل المساهمة الأهم لحزب الخضر في إنجلترا وويلز تكمن في أنه أعاد طرح الأسس التي يقوم عليها النقاش برمته. فلعقود طويلة، ركزت الدبلوماسية الدولية بشكل مفرط على إيجاد الحلول، بينما ظلت الأسس الأيديولوجية للنظام السياسي القائم في إسرائيل بمنأى عن أي تمحيص أو مساءلة حقيقية.

لقد غيّر حزب الخضر في إنجلترا وويلز هذا النهج، معلناً – في جوهر الأمر– أنه لا يمكن لأي حل سياسي في فلسطين، مهما بدا مثالياً أو واقعياً في الظاهر، أن يتعايش مع الصهيونية. كانت ردود الفعل الغاضبة ضد حزب الخضر في إنجلترا وويلز متوقعة بطبيعة الحال، لكن ثمة أيضاً تصميمًا متزايداً لدى النخبين البريطانيين على تحدي حدود النقاش المسموح به عبر مختلف أطراف المشهد السياسي.

وقد يمهّد هذا أخيراً الطريق أمام حوار جاد حول الكيفية التي يمكن للعالم من خلالها محاسبة إسرائيل.

○ أكاديمي وكاتب فلسطيني.

لماذا الحنين إلى الثمانينيات؟

حين تستهدف صواريخ جماعة الحوثي ومسيراتها مطارات المملكة العربية السعودية ومنشأتها الحيوية وأحياءها السكنية، فإن المستهدف ليس بلداً بعينه، بل أمن المنطقة العربية واستقرارها بأكمله. ومع ذلك، قوبلت هذه الاعتداءات في بعض المنابر العربية بصمتٍ مريب، بل وبخطابٍ متشوّف يتّبنى رواية المعتدي، متجاهلاً أن المملكة العربية السعودية كانت ولا تزال أكبر داعم إنساني واقتصادي لليمن وشعوبه ووحده. ويمكننا في هذا السياق أن نتوقف عند عدد من النقاط المهمة: أولاً: السعودية الداعمة للخير والاستقرار دائماً

على مدى سنوات الأُزمة، لم تتوقف المملكة العربية السعودية الشقيقة عن مدِّ يدِ العون لليمنيين: مستشفيات ومدارس وطرق ومحطات مياه وكهرباء، وودائع لدعم العملة اليمنية، وإغاثة تصل إلى المحافظات اليمنية كافة دون تمييز. وفي المقابل، طرحَت الرياض مبادرات متتالية لوقف إطلاق النار وإطلاق مسار سياسي شامل، فيما ظل الحوثيون يردّون بالصواريخ والمسيرات. هذه هي الحقيقة التي تحاول بعض الأصوات طمسها.

ثانياً: لماذا تكرر الحملات المعادية ضد السعودية؟

لا تأتي هذه الحملات من فراغ. فبعض القوى السياسية في المنطقة مرتبطة بمحاور إقليمية معادية للرياض، في مقدمتها المحور الإيراني الراعي للحوثيين، فتتبنى روايتهم تلقائياً كناية بالسعودية. وتستغل جماعات الإسلام السياسي وبعض التيارات المؤلّدة كل أزمة لتضخية حسابات قديمة مع دولة وفتت بحزم في وجه مشاريعها. ويسعى آخرون إلى ابتزاز الرياض سياسيا واقتصاديا عبر مواقف رمادية كلما تعرضت لتهميد. وفوق ذلك كله، تعمل قنوات ممولّة من الخارج على ضخِّ إعلامي ممنهج يطسح حجم العطاء السعودي ويقدم المعتدي في صورة الضحية.

ثالثاً: لمن الصمت والتشفيّ إن التهاون مع جماعة تستهدف الأعيان المدنية لا يضرر المملكة العربية السعودية وحدها؛ فهو يُضعف مفهوم الأمن القومي العربي ومبدأ الدفاع المشترك، ويمنح الحوثيين غطاء

للعالم من خلالها محاسبة إسرائيل.

○ أكاديمي وكاتب فلسطيني.

ينتشر منذ فترة «ترند» لطيف على وسائل التواصل الاجتماعي، يستعيد فيه المتصفّحون حقبة ثمانينيات القرن الماضي، وينشرون صورهم في تلك المرحلة، ومن كان صغيراً وقتها يستعين بالذكاء الاصطناعي ليولد صورة له من تلك المرحلة، بقضات الشعر نفسها التي كانت دارجة وموضة الملابس والألوان. «الترند» في غايته الطائفة، وقد يكون استراحة مؤقتة وضورية من موجات الكراهية المتبادلة الرائجة بكثافة على صفحات وسائل التواصل الاجتماعي العربية، خصوصاً أن الصور المنتشرة تعطي فكرة معقولة لمن لم يعيش تلك المرحلة عن الثقافة الاجتماعية التي كانت وقتها، بسبب ارتباط الموضوع (تسريح الشعر والبلاس والألوان) بالأفكار السياسية والاجتماعية السائدة في ذلك الوقت.

شكل عقد الثمانينيات مفترقاً حقيقياً للعبور نحو زمن عالمي جديد غير نهائي من شكل العالم الذي نرسخ مع بدايات القرن الماضي، ففيه انتهت الحرب الباردة التي قسّمت العالم إلى حلقين متصارعين، معلنة انتصار الحلف الغربي الرأسمالي وصعود البيرسوديك في دول الاتحاد السوفييتي السابق، وهدم جدار برلين الذي دفنت تحت حجارته الأحلام بعالم شيوعي اشتراكي ثوري يساري إلى الأبد، ليدخل العالم في مرحلة الاستهلاك التي جعلت من العلامة التجارية جزءاً من الهوية الشخصية.

أما الأهم، فهو انتقال البشرية من الثقافة المحلية إلى الثقافة العالمية، وبدء نهاية العالم التناظري لصالح العالم الرقمي الذي نشهد ذروته الآن. ففي الثمانينيات ظهر الكومبيوتر الذي نعرفه لأول مرة، وانتشر في البيوت والمكاتب، معلناً بدء نهاية التدوين اليدوي والورق والحبر والرسائل المكتوبة بخط اليد، التي كانت تحتاج شهراً لتصل إلى متسلمها، وفيه أيضاً بدأ انتهاء مفهوم الزمن ببطئه وإيقاعه الرتيب المنتظر

من أجل التضامن مع السعودية

معنوياً يشجعهم على التعنت ورفض مبادرات السلام السعودية والأممية. كما يزرع احتقانا بين الشعوب العربية يهدد ما يجمعهما من روابط تاريخية وثقافية، ويتقبل سياسية مقبولة، وهو ما يفتح الباب واسعاً أمام الإرهاب العابر للحدود.

الدعم العربي المطلوب حكومات وشعوبا وإعلاما تتطلب اللحظة تضامناً عربياً واضحاً لا لبس فيه. فعلى المستوى الرسمي، ينبغي للحكومات العربية

أن تعلن إدانة صريحة لكل اعتداء يطال المدن السعودية، وأن تجعل الموقف من أمن المملكة العربية السعودية معياراً لصدق الشراكة معها، وأن تمنع انطلاق منابر الكراهية والتخريض من أراضيها.

وعلى المستوى الإعلامي، تبرز الحاجة إلى خطاب عربي حديث ومتعدد اللغات يوقّ جرائم الحوثيين وإرهابهم بالأدلة والبراهين، ويعرّف الرأي العام بما يقدمه مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية والبرنامج السعودي لتنمية وإعمار اليمن من مشاريع تمس حياة ملايين اليمنيين.

أما على المستوى الشعبي، فلنخب الفكرية والثقافية والأكاديمية دور محوري في كشف الحقيقة ومواجهة حملات التضليل، كما يمكن للفعاليات الثقافية والرياضية المشتركة أن تعيد الدفء إلى العلاقات بين الشعوب، وتُحل من ملاحقة المحرضين على استهداف المدنيين قانونياً عبر المنظمات العربية والدولية المختصة، فالتحريض على ضرب الأعيان المدنية جريمة يعاقب عليها القانون الدولي، ولا يسقطها أي تبرير سياسي.

إن الوقوف إلى جانب المملكة العربية السعودية الشقيقة قلبا وقالباً اليوم ليس مجاملة سياسية، بل هو دفاع عن بلد عربي يشكل صمام الأمن والاستقرار للمنطقة كلها وهو أيضا دافع عن فكرة الأمن العربي المشترك ذاتها. فمن يصمت حين تُستهدف السعودية اليوم فسوف يجد نفسه في المستقبل عرضة لذات العدوان الآثم الذي تديره وتموله وتشجعه إيران التي تحولت إلى عدو رئيس خطير لا بد من التصدي له.

لماذا الحنين إلى الثمانينيات؟

لصالح سرعة بارقة، لا توجد فيها أي مساحة للرنانة الجميلة أحيانا، ولا للانتظار بكل مكابذاته الذاتية والعامة.

عني، شخصيا، عشتُ في الثمانينيات خيارات شخصية

كانت فاشلة ومريعة، وعشت حدث الأمومة الذي غير في معنى فهمي للزمن والالتزام والتعلق، وعشت أكثر مراحل حياتي رغبة في القراءة والمعرفة والفهم والاكتشاف، عشت تناقضات شخصية وعائلية هائلة صنعت شخصيتي اليوم. أتذكر عقد الثمانينيات وأراه الآن طويلا جدا كما لو أنه نصف قرن أو زمن كامل، إذ لم يمر فيه وقت من غير حدث ما سوف يترك طابعه على ما سيأتي لاحقا. ولكن هل كنت أراه هكذا وأنا أعيشه؟ كان بالنسبة إلي حياة يومية أعيشها من دون اكتراثٍ لما يحدث خلالها خارج عالمي الصغير.

لكن حدثاً رئيسياً أتذكره اليوم، وأتذكر طعم المראה الذي ملأ روحي وقتها: كنت في بيت أهلي في قريتي أقرأ كتابا سا. وكانت إذاعة لندن من راديو بيت عمي الملاصق لبيتنا، فجأة يُداع خبر إعلان جورباتشوف تفكيك الاتحاد السوفييتي ونهاية المرحلة الشيوعية بالكامل. هذا الحدث بتفصيله سيبقى لاحقا أكثر حضوراً في ذاكرتي عن الثمانينيات، بعد حدث ولادتي ابنتي الوحيدة. ورغم أنني لم أكن يوما شيوعية التنظيم، لكنني كنت، وما زلت، أؤمن بأن الاشتراكية يمكن أن تشكل ثقافة تحقق قسدا متوازنا من العدالة للبشرية، شرط ألا تتحول إلى ديكتاتورية شمولية كما حدث لها.

لا أعرف اليوم سبب حنين بعضهم إلى الثمانينيات، ولا سبب «الترند» المتداول في مواقع التواصل الاجتماعي. ولكن يبدو لي أن الفوضى الكبيرة غير المفهومة التي يعيشها عالم اليوم تجعل من مرحلة الثمانينيات الفردوس المفقود، فرغم أن كل ما يحدث اليوم مهّد في له، إلا أنها كانت أيضا مرحلة المشاعر الكبيرة، الحلم والتوق والأمل والفقد والخيبة والخسارة والهشة والهزيمة.

كانت هذه مشاعر عامة وكأن الجميع كان مشاركا بكل ما يحدث. أما اليوم، فتحت كل الغداحة ثلو الأخرى من دون أن تهتز فينا شعرة. أليس الجحيم هو المشاعر الميتة والفردوس هو اشتعالها وحياتها؟!

○ كاتبة وشاعرة سورية.